ماسات ثلجية

# ماسات ثلجية

هدى حسين عويد

قصص قصيرة

دار المثقف للطباعة والنشر

اسم الكتاب : ماسات ثلجية
الجنـس : قصص قصيرة
المؤلف : هدى حسين عويد
القيـاس : ١٤ × ٢١ سـم
عدد الصفحات :( ٨١ )
عـدد النسـخ : (١٠٠) نسخة
الطبعـة الأولى : لسنة ٢٠٢٢
التصميـم : اية الحسن
النـاشِــر : دار المثقف للطباعة والنشر / بغداد/
باب المعظم / شارع المكتبات / هاتف ٠٠٩٦٤٧٧٣٩١٧٤٧٣٦

رقم التسجيل الدولي ( ردمك ) (ISBN 9789922941455 )

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقل بأيّ وسيلة من الوسائل التصويرية أو الإلكترونية أو الميكانيكية ، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطّـي من دار النشر .

All rights reserved. No part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system,or transmitted in any means: electronic, mechanical, photo copying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing of the publishing house.

الحياة

ما هي إلاّ فصولاً موسميّة.

مُرّ بها جميعها، اِستوطن شتائها، واْعشق ربيعها، وحارب مع صيفها، واسترح عندَ خريفها.

حبهًّا جميعها، تفرد بإحداها، وتميز في الأخرى، كنْ شجاعًا بثالثها واْفخر لأجل رابعها.

# جَنَّة أُخرى

قاربتْ ساعاتُ الليل على الانتهاءِ، ومع كلِّ دقَّةٍ تعلنها تدقّ بأذني قلقًا نحو ما هو آتٍ، وأنا مستلقية على ذاتِ الفراش الرثِّ القديم حتّى أنّ الذكريات المتعلّقة به باتت تأكل منه شيئًا فشيء حينَ جوعها، تطلعتُ نحو الهلال، يتربّع وسط نافذة الغرفة فارضا علينا عودة عروسه الرمضانية، انعكستْ أنواره بسقفِ الغرف المشبّعة بالرّطوبةِ الّتي حالتْ إلى خطوطٍ ورسومٍ توحي إلى مدنٍ أخرى، وكانَ ضوء القمر سرًّاً لظهورها، أقصُّ أخبارها لصغاري في كلّ ليلةٍ حتّى باتَ كلٌّ منّا يختار مدينته ويبني فيها آماله ويحلّق فيها بأحلامِه.

كنت أشعر أنّي يومًا بعدَ آخر ألتحم بهذا الفراش الصغير، وأصبح جزءًا منه وأتوسع به لكي يحيط أبنائي الّذين لم ألدهم، بَل رزقتُ بهم من القدرِ، أصبحتُ أمًا لفتى و فتاة بإرادتي المجهّضة.

بينَ هذا الكمّ الهائل من الشرودِ المتناقض والفوضى اللّاشعـورية التّي تْـدور بعقـليَ تسلل إلى مسامعـي خطواتهم التي تْزهر وردًا بتعرجاتِ جدران المنزل، سمعتهم يقتربون، تظاهرتُ أنَّني نائمة لأرى ما هم فاعلين، دنى أحدهم منّي وحالما قَبّلَ وجنتي، علمتُ أنّها ياسمين وحدها هي من تفعل هذا خلافًا ليامن الّذي يخالجه شعور الخجل أقْبَل خلسَةً:

- ابتعدي قليلًا، هذهِ المرةَ الألف وأنتِ تُقبلينها وهي لا تستيقظ فيها.

كتمتُ قَهقَهتي لحديثهما تحسبًا لشكّهما، لم أشأ النّهوض قُبلتها الأمل الوحيد الذي يزيدني عطاءً؛ فتحتُ أجفانيَ رويدًا رويدا.

- أنظر! يبدو أنَّها فتحتْ عيناها.

- يا لكِ منْ حمقاء! راقبي وحسب.

- ماذا ستفعل يامن؟ هل ستصرخ كعادتكَ؟

- نعم، الصراخ هو الحلّ المناسب مع أمي.

- توقف عن ذلك.
- أمي، أمي.
مثلتُ مرة ثانية أني أستيقظ بهلعٍ قائلة:
- ما بكما! لِمَ أنتما هنا؟ كأنكما أغصان شجرةٍ ذابلة.
- أبي لم يكُن نائمًا، أيقظنا ونحن فعلنا الشيء ذاته معكِ.
- حسنًا، ابتعدا قليلًا.
علمتُ أنَّها إحدى إشارات أبي للقيام في المهمةِ التالية التي حفظتها عن أمي، اقتربتُ منهما، حوّطتهما بذراعيّ:
- ما رأيكما في أن نلعبَ لعبةً مسلية؟
ردَّ يامن مستغربًا!
- نلعبُ في هذا الوقتِ!
- نعم، إنها ليستْ كبقية اللعب، تستمر شهرًا كاملًا.
- لا بدّ من أنَّكِ تمزحين يا أمي!
قاطعته ياسمين غاضبةً:
- هَلا سَكت، أمي أريدُ اللعب.
- حسنًا، عليكما أن تعداني أنَّكما لن تخلفا قواعدها.

- هيَّا أخبرينا المزيد، أودُّ أن أخوض فيها يا أمي.

ردَّ يامن منجذبا للفكرة نوعا ما:

- ما هي؟ كيفَ سنلعبها؟

- حسنًا، أولى قواعدها أن تمتنعان عن الطعامِ كلّ يوم إلى أن يحين غروب الشمس.

شعرتُ بعدمِ اقتناعهما بها، فقلتُ:

- مَا بكما ألا تريدان اللعب؟ سنكافأ بالكثيرِ من الأكلِ اللذيذ والهدايا بعد الانتهاء.

ردَّ يامن قائلًا:

- وكأنَّكِ لا تعلمين، أنَّ الطعامَ الكثير الذي تتحدثين عنه لا وجود له هنا، والهدايا لا تطرق بابَنا.

- لمَ أنتَ متذمر هكذا يا يامن، أخبراني أتريدان ذلك أمْ لا؟

- حسنًا، سنلعب معكِ.

- إذًن عليكما اتّباع كلّ ما أفعله أنا للفوز دون اعتراض، وإن شعرَ أحدكما أنَّه لا يستطيع المواصلة فليقل ذلك.

- حسنًا، أمي.

تزاحمنا حولَ الحصير، يلفّنا كعصافير صغيرة تحاول تناول القليل من الفتاتِ؛ فالطعام الملكي لا يوجد سوى في تلك المدينة المعلقة بسقفِ الغرفة، كانَ السحور الخطوة الأولى التي مضتْ بدوافعِ الرغبة والشغف لإكمالِ اللعبة.

نظرَ أبي إلينا، وأطلقَ ضحكات رتيبة تتحسر بغصاتِ الألم، لم يسعْني سوى أن أعانقه لتخفيفِ حمله هذا، وإذ بيامن وياسمين يحشرا رأسيهما بينْنا توجَّهما أبي بقبُلاتِ مشجعة، أشار إليَّ أبي حزرتُ إيحاءه مجددًا، وطلبَ من إخوتي اللحاق بي، قصدتُ دورة المياه لكي اتوضأ، لم ألبثْ كثيرًا إلا ورأيتُهما تراصفا بجانبي، يحاولان تقليد حركاتي بعفويةٍ، ارتديتُ نقاب الصلاة، كانَتْ ياسمين تنظر لي بجهلٍ، لكنها سرعان ما ذهبتْ تبحث عن نقابٍ لها، أخطأتْ عدَّة مرات في ارتدائه، صعبَ عليها ترتيبه، دنتْ مني، أمسكتْ بطرفِ ثوبي، أخذتْ تسحبه قائلة:

- أمي ساعديني في ارتدائِه، مثلما ترتدين ثوبكِ تمامًا.
- اقتربي صغيرتي.
كلُّ شيء انساق وكأنَّه شريط فيلم منظّم، كنتُ أنا من تتحرك و هما من يقيدان نفسهُما بخطواتيَ إلى أن أنهيتُ الصلاة.
أكانتْ هذهِ هي دوافع الفوز أمْ هداية اللّٰه نزلتْ فينا؟
ناداهما أبي:
- أحسنتما عملًا، الآن عليَّ الذهاب للعملِ.
أجابه يامن متبجحًا:
- أبي أنا من سأربح، فلا تنسَ هديتي.
قاطعتْ ياسمين كلامهُ.
- لا بدَّ منْ أنكَ تحلم!
أمسكتُ يدهما بلطفٍ شديد، جعلتُ أحداق عينيَ في منتصفِ بؤبؤ عينيهما، قلتُ:
- ستكون الجائزة لمن يلعبها بحبٍّ ملؤه الإيمان.

حلَّ الصباح، أشرقتْ الشمس، صغاريَ غارقين في نومٍ عميق، لم أشأْ أن يشعران بعطشِ النّهار، ولا جوع ضراوةِ ظهره، فحتّى أنا بينَ الفينة والأخرى أشعر بنفحاتِ أمي الراحلة، وهي تلقيها داخلي في كلِّ لحظةٍ أغفو فيها، كما وأنها تمنحني ذاتَ الشعور الذي أمنحه لإخوتي.

نظفتُ الغرف، علقتُ الزينة التي مضى على وجودِها معنا سنون، علامات الهرم في السنِّ واضحة عليها، ممزقة الحواف، أضوائها أعلنتْ استسلامها منذ زمن، في حينِ الأخريات مازِلنَّ يقاومنَّ معاً الحياة، رغم فقر المنظر وبساطته إلا أنَّه يوحي إلينا وكأنَّه أحدُ القصور الفاخرة، لم يتبقَ سوى القليل وإذ بصغاري يداهمون وحدتي:

- لِمَ تفعلين هذا لوحدكِ أمي؟

- لا أريد اِيقاظكم.

وجوههم متعبة، صومهم أبرز براءة ملامحهم، شعرتُ أنَّني قسوتُ عليهما، فهما لا يزالان غير بالغين، لا يعرفان شيئًا.

- هيَّا، اقتربا وقدما يدَ العون لي، لم يتبقَ الكثير على موعدِ الإفطار.

أقبلتْ ياسمين بصوتٍ متعب:

- أمي، أنا أشعر بالجوعِ.

ردَّ يامن ضاحكًا:

- وها هي تُستسلم أخيرًا.

- ليسَ الآن، سأستمر، لم يتبقَ سوى القليل كما قالتْ أمي.

لم يكن باستطاعتي التدخل بينهما؛ فهذه هي تعليمات أبي أنْ أجعلهما يقرران بأنفسهما المواصلة أو عدمها:

- أحسَّنتما، هيَّا لنكمل العمل ونقوم بتحضيرِ الطعام.

ماء، التمر، اللبن وبضعةٌ من خبزٍ مع حساء العدس، هذا هو إفطار اليوم، لا يختلف عن سابقِه، هذا ما بدّدَ فرحة صغاري بعدمِ وجود مفاجأةٍ تقلب الموازين بأكملِها، جلسنا حولَ الحصير ننتظر مدفع الافطار ليعلِنَ انتهاء اللعبة ثلاث ثوان، ثانيتان، فواحدة.

انطلق آذان المغرب، هرول كلٌّ منهما نحو الماء، ضحكتْ عليهما، يتشاجران حول من يشرب أولًا، متناسيان شأن الأكل.

طرقَ أحدهم الباب، أسرعتُ لكي أفتحه، وإذا به أبي محملًا بالأكياسِ ملؤها الطعام واللباس، توسعت عينيّ، صرختُ فرحًا على يامن، ياسمين:

- تعاليا إلى هنا، عادَ أبي، وأحضر معه المفاجأة.

- أبي من أين جئتَ بكلِّ هذا؟

- لا بدّ وأنَّها من تلك المدينة؟

أجابها أبي قائلًا:

- ربَّما الأمر كذلكَ يا صغيرتي، هيّا أدخلوا لكي نأكل جميعنا.

نظرَ إليَّ أبي مبتسمًا:

- شكراً لك ابنتي، كنتِ كأمكِ بكلِّ شيء.[1]

[1] هذه القصة فائزة بالمركز الرابع في مسابقة الكاتبة الاردنية "رولا حسينات" برعاية الكيان الادبي والتي بدأت تحت عنوان " رؤية المرآة في شهر رمضان" ومشاركة في كتابها.

## سندريلا الصغيرة

اعتدت نهار كلِّ يوم أن أشقَّ طريق سعادتيَ في زقاقِ شارعِ بيتنا، رغم محاولات أمي لمنعِ خروجيَ، إلا أني أستغل انشغالها وأعدُّ عدَّتي للهروبِ. جلَّ اهتمامي أن أرى ملامح طفولتي تَحتضن جدران أزقَّتي الفانية البناء، كما لو أنَّها تتماسك لأجل أن نشهد ولائها لنا رغم زوبعة الحياة، وتريد العطاء منا بعد كلِّ هذا الجفاء، لا أنفك عن احتوائِها وأنا أجول فروعها بفستانٍ أبيض اللون، مهداة إليّ من قبلِ جدَّتي، لم يكن براقاً وقتها، لذا طلبتُ من أمي أن تُرصعه لأجليَ بالمجوهراتِ، لكي يبدو كما الأميرات حينَ تصطدم به نفحَات الشمس المضيئة يزداد لمعانها لتنير بي كشهابٍ يجوب السماء.
فأقفز هنا، وأقفز هناك مثيرةً غيظَ أصدقائي كلَّما لمحتُ انبعاث ضوء في الأرجاءِ، أركض خلفَ أقراني في الفناءِ تغمرني الغبطة، نلعبُ الغميضة، تارةً يمسكون بي، وتارةً

أخرى أنا أمسك بهم، نحدث فوضى في الأرجاءِ، رغم انزعاج الجيران إلا أنَّ أصواتنا تصدر إليهم ألحاناً تثير الاطمئنان.

في كلِّ مرة أختبأ في ذاتِ المكان الرثِّ بقربِ كشك الحلوى وغزل البنات، الذي طالما شدَّني إليه حتّى وإنْ لم أكُن أنا المطاردة، وما مكوثي فيه إلا حجَّة لكي ألقي بناظري صوبه وأملأ عيني بروعةِ المنظر، ما هي إلا دقائق قليلة وأنال مبتغاي عندما أسمعه يناديني سندريلا الصغيرة حتّى أنقاد إليه جارية وبيدهِ سكاكر حلوة المذاق لم أمانعْ في أخذها منه، اعتدتُ الأمر حتّى بات ذلك ليسَ ملجأً للهروبِ، إنَّما سرَّاً يجمعني بحلواي، كانَ اليوم مختلفًا عن ذي قبل تساءلتُ قائلةً لأمي:

- أمي، في أيّ يوم نحن؟

- ما بكِ؟ هذا ليسَ من عادتكِ!

- أنا أتساءل فحسب.

- نحن في يومِ الجمعة.

- إذًاً مَا بال الجميع!
- مَن تقصدين أنتِ بذلك.
- أصدقائي، لِمَ لا أسمع لهم صوتًا في هذا الوقتِ؟!
- هذا لأنَّكِ لستِ معهم، فمصدر تلك الجلبة، هو أنتِ.
- إذًا سأخرجُ لأرى أين هم.
- إلى أين، انتظري! إن ذهبتِ سوفَ أخبر أبّاكِ بذلك.
- لن أُطيلَ الغياب، حتّى وإنْ فعلتِ سأخرجُ كالمعتادِ.

أسرعتُ لغرفتي، ارتديت ذاتَ الثياب، وضعتُ على رأسي إكليلاً فضياً، صمت كلُّ شيء لم يعِق لهفتي في المضي خارجًا للمرحِ. بحثتُ عن مروة، سلوى وأحمد، لم أجدْ لهم أثرًا في الأنحاءِ، تُفقدتُ خطاهم، لكن بلا جدوى، غادروا وتركوني ها هنا أحتفظ لهم البقاء... وانتهى بي المطاف إلى نهايةِ المفرق!

نهاية المنحنى شعرتُ أنَّ خطواتي لا تسايرني بالذهابِ إليه، رغم محاولات إغرائهِ لي؟ فكرتُ في تُغيير طريق

سيريَ، اِستوقفني خروجهُ حاملًا بيدهِ صندوقًا محملةً بالبضائعِ الجديدة، ويحرص على اقتنائِها وترتيبها بعنايةٍ.
نظرَ إِليّ مبتسمًا:
- ما بكِ تقفين هناك؟ هيَّا تُقدمي.
- لا أريد هذا، أين ذهبوا؟
ثمَّ ردَّ ضاحكا مُكَشِّراً عن أسنانِه:
- سوفَ يظهرون عما قريب، لذا لا تقلقي، البثي هنا إلى أن يعودوا.
- حسنًا، سأنتظرُ.
اقتربتُ منه جلستُ عندَ بابه قامعةً عدم رغبتي بذلك، تاركةً أفكاري تبحر بجوفِ عقلي، غرابة اليوم تملأ كلَّ شيء.
نظرَ إليّ وسرعان ما تلاشت نظراته حينَ أتى إليه زبون، ولكن لم يلبثْ إلا قليلًا وعاود فعلته مطولاً نظراته نحوَ ساقيّ طويتهما، طوقتهما بأذرعي، رمقته باستغراب!

لم يردعه تصرفي البريء، جالَ بعينِه إلى ساعديّ ثمَّ جسدي وصولًا إلى عنقي، وضع يديهِ، أرعبتني تصرفاته دفعته إلى الخلفِ، لكن دفعي إياه لم يجدِ نفعًا، ساقني بقوةٍ إلى الداخلِ. اعلنتُ رفضي، مزقتُ ردائه، أطبقتُ أسناني بساعدِه، أردتُ الهروب بكلِّ الطرق المباحة، لكن ضعفَ عظمي، صغرَ سنّي حالَ بيني وبين سطوة شهوته التي قامتْ بإحياءِ أمجاد عهدها ببناتِ الحي.

صرختُ بكلِّ جوارحي لعلَّ صراخي يثير ثورة الجدران، وهنتُ أرضًا، لم أدركْ بعدها شيئًا غُصّتُ بأعماقِ كابوسٍ أشبه بالجحيمِ. أفقتُ بعدها على مناجاةِ الآخرين بالكادِ أرى ملامح وجوههم التي باتت مجرد رموزًا وإشارات. نهضتُ وخارت قواي، هبطتُ بكاملِ جسدي على ركبتيّ متناسيةً أن طفولتي أمستْ تحت قدميّ، أمعنتُ النظر بنفسي لم أرَها! شعرٌ مبعثرٌ، وجهٌ غارقٌ بالدموعِ، فستانٌ غسلَ ببحرٍ من الدماءِ، هلعتُ وقلتُ: من أنا؟

- يا لها من مسكينةٍ.
- من الذي فعلَ هذا بها؟
- أنا أعرفها، إنَّها تلعبُ معنا يا أمي.
- أين هم ذويها؟

هل الحديث عني أمْ عن جزارِ هذا الحمل الصغير؟ كنتُ أنا من بينِ الجميع، ضحية لعبة الغميضة تلك في هذا الركنِ العتيق، لم أكُن سوى كبش فداء في حيٍ قديم. أمّا من أحدٍ يوقظني؟ بات الحلم مخيفًا. لحظات وصوت أمي تفجرَ معلنًا تمرده على البغاءِ، انهالت بروحِها وعانقتْ من تحولتْ إلى أشلاءٍ؛ فقلتُ لنفسي:

- استيقظتُ أخيرًا.

انتشلتني من الأرضِ بقلبِها قبلَ كفَّ يديها قائلةً:

- ها هي هنا والدتكِ، لا تخافي يا حبيبة أمكِ.
- أمّي، هل أنا بخيرٍ؟
- نعم صغيرتي، أنتِ بخيرٍ.

- أهذا يعني أنَّني سوف أُعاودُ البحث غدًا عن أصدقائي؟

- أجل، لكن ليس قبلَ أن تقولي من الفاعل.

لم أجدْ إجابةً شافيةً لسؤالها، فلم يسعني سوى قول:

- أنهُ عجوز المحلة يا أمي...عجوز المحلة.[٢]

[٢] هذه القصة مشاركة ضمن كتاب "شهرزاد في بغداد" "انطولوجيا القصة القصيرة النسوية العراقية المعاصرة" برعاية مجلة أمارجي الادبية.

# الأمنيات

خرجتُ من المنزلِ متلهفةً كفتاةٍ صغيرةٍ مليئةٍ بالحياةِ، أسـرعتُ بخطواتي صوبَ المحل القديم، يعتريني ذات الشعور بالشوقِ والفرحِ، وكأن لا شيء تغير فيه إلى الآن. كم هي كثيرة الأيام التي كانتْ تسرقني فيها من نفسي، كلَّما وطأتْ قدميَ عَتبة باب المحل شعرتُ وكأنَّها المرة الاولى.

دخلتُ ورأيتُ ذكرياتي قد اختبأتْ بينَ ثنايا المكان توجهتْ نحوي وعانقتني، كما كنتُ أفعل في صغري حينَ أزورها مع أبي أنسـاق جاريـة خلفَ صوت تراقص الأجراس وهي تعزفُ لحن الطفولةِ، تجذبُ أنظاري نحوَ بريقِ الكرات الملونة المعلقة بجانبِها، ألفُّ نفسي بشرائطِ الزينة حتّى أسقط أرضًا مضحكةً أبواي، فجأةً انقاد نظري نحو الشجرة الكبيرة.

نعم، شجرة الصنوبر!

هرعتُ لها شوقًا وسارعتُ بشرائِها، تحسستُ كلَّ غصنٍ فيها، شممتُ رائحتها كما وأني أريدها أن تعيدَ الربيع بأرضيَ القاحلة، عاينتُ أوراقَها، قبلتها فهي اليد التي أمسكتُ بها ولم تخدشْني، عدتُ طفلة الماضي عندما كنتُ أمنع اقتراب أمي وأبي منها حرصًا مني على أن لا تُتحطم كُراتها المضيئة وأشرطتَها الملونة. احتضنتها وخرجتُ، حينها جالَ في عقلي شيءٌ تذكرته، فابتسمت:

- ها قد أمسكتُ بطرفِ حبل الحقيقة.

وصلتُ إلى المنزلِ وإذ بي أمدُّ ذراعيّ معانقةً أطفالي وسط تعالي أصواتهم:

- مرحى، جاءتْ أمّي أخيرًا.

- أنظرا، ماذا أحضرتُ لكما؟

- أجل، شجرة الميلاد! إنَّها لي.

- لا، إنَّها ليست لكَ، بلْ أحضرتها لي.

- على رسلِكما، لا تتشاجرا، إنَّها لكما أنتما الاثنان، يوجد الكثير من الزينةِ لذا توقفا عن المشاجرةِ.

- أسنقوم بتزيينِ الشجرة أمي؟

- نعم، سنفعل ذلك.

شرعتُ في تأملِ كلّاً منهما وهما يخرجان الزينة، الحلوى والسكاكر، ارتسمت أمامي الطفلة الّتي في داخلي تَركتها نائمةً بعمقِ حالما داهمني البلوغ، وأعلن النضج عليَّ على حينِ غرة. مُلئتْ الحجرة بالفوضيِ والخطوات الحائرة الّتي أثارها صغاري لؤي ونجوى

- مَن هو بابا نويل يا أمي؟

- أحقًّا يحقق أمنياتنا بعد أن ننام!

وها قد وجّه السؤال إليّ هذهِ المرة، فحتّى أنا لا أعرف سرَّ اللغز العظيم القابع خلفَ تلك الحكاية، مَن هذا البابانويل؟ جهلتُ تحقيقه أحلامي طوال تلك السنوات الماضية. وجدتُ نفسي أقصَّ لهم ما ورثته عن أجدادي القصّة الخرافية الّتي لم أصدقْها عن ذلك الرجلِ الذي

يسعى إلى إسعادِ الجميع بتقديمِ الهدايا لهم بلا مقابل. في خضمِ تساؤلاتي الّتي تدورُ في عقلي وأنا أسردها لهم قاطعني لؤي مستغربًا:

-كيفَ يلبي ما أتمناه فور استيقاظي؟

أيقنتُ أنَّ أبنائي يشاركاني في ذلك لم تنطليَّ عليهما تلك الحكاياتُ لكن سرعان ما تناسوا الأمر حينَ طغتْ فكرة الحصول على مبتغاِهم هي الأهم.

- أمّي أريد أن أتمنى أيضًا، سأطلب منه ما أريدْ، ويحققها لي صباحًا.

- حسنًا لكما ذلك، ماهي أُمنياتكم؟

اقتربتْ ساعاتُ نهاية اليوم، أطفَأتُ الأنوار لتحلَّ محلها الأضواء الخافتة المنبعثة من شجرةِ الميلاد المشعَّة كقمرٍ بدري، ارتفعت أصواتنا وأعلنّا الاحتفال بالعامِ الجديد، علقَ جورب الأمنيات بأحلامِ لؤي ونجوى على أغصانِ الشجرة بعد أن كتبَ كلٌّ منهما ما تمنى، انتابني الفضول حول ما احتضنته تلك الأغصان بين ذراعيها، فما أن

غفى الجميع حتّى اغتنمت فرصتي نهضتُ من الفراشِ وعينيّ تسبقني حيث مبتغاي تسللتُ بخطواتِ بطيئة و دنوتُ خلسةً من الشجرةِ أمسكتُ جوروباً، كانَ الأمر أشبه بِمَنْ يسقط على سطحِه نجمًا و يهرع لاكتشافه، وأخيرًا عانقتْ يدي لغز طفولتي، نظرتُ وإذ بي عدتُ أدراجي للوراءِ، وضعتُ يدي على فمي، اعتلا ملامحي ابتسامة كانتْ كعلامة النصر والفوز بإدراكِ الحقيقة، وقلت في نفسي:

- بابا نويل هذه الليلة كانَ أنا.

## الوصم

من بعيدٍ أتت أمي راكضةً حتّى أنَّها لم ترتدِ عباءتها بشكل جيد، كانَ همّها أنْ تصل إلى هناك بعدَ أن تمَّ استدعائها من قبلِ إدارة المدرسة، أنَّ حادث شجار بيني و بين زملائي في القاعةِ قد حدثَ.

دخلتْ أمّي لِغرفة مديرة المدرسة، وشعور القلق أصبح ثوبًا يغطيها، ويفضح تَمتمة قلبها بعينِها حينَ رأتْ إني مطأطِئةُ الرأس، أقف ضمن مجموعة من الطلابِ وثيابنا مُزِقتْ واتسختْ بالكاملِ، وشَعرُ رأس كلِّ منا باتَ ملتصقـًا بينَ زوايـا أصابعنا الـرفيعة، تخـدش الحيـاة الواهنة لنعومة أناملها، بوجهٍ تَعرشه الاحمرار، متورمًا كالتلال، ولكي يكتمل الأمر كانَ لا بد من الدموعِ أن تشقَّ طريقها بين الشفاه والوجنتين. فزعتْ أمي لِما رأته وكأنَّها شاهدتْ أبطال حربٍ خَسروا، وهاهم واقفون بجلاءٍ، تلعثم لسانها قائلة:

- ماذا حدثَ معكِ؟ لمَ أنتِ بهذا المنظر؟!
لم أنبسْ ببنت شفة سوى أنَّني نظرتُ لها بملامحِ شاكية، فدنتْ مني ممسكةً بأكتافي تهزّني بين يديها إلى الخلفِ والأمامِ، توبخني ويا ليتها بذلك الارتجاج الّذي يهزُّ بدني أسقطتْ ما احتل بالقلبِ جبلًا لا تنهار به العواصف. لم أعيِّ ما تفوهت به ؛ فوضعتُ يدايَّ على أذني لعلّيَ أنشئ حاجزًا بينَ هجومِ كلماتها و نفور حفيظة نفسي الّتي تريد الخروج وتخرس الجميع بأنينِها. قامتْ معلمتي من مقعدِها لتهدِئ من غضبِ أمي الّذي تناثر كبركانٍ ثائر قائلةً:
- اهدئي سيدتي، الأمور لا تحلُّ بهذهِ الطريقة، أنتِ هكذا تشعرينها بالخوفِ منكِ أكثر.
- كيفَ أهدأ يا آنسة؟ ألا ترين أنَّها فتاة لا يرجى منها فائدة؟ لم أحسنْ تربيتها.
- حسنًا، وإن كانتْ كذلك، ليسَ هذا ما ينبغي أن تقوليهِ أمامنا وأمام اِبنتكِ!

- ما الّذي فعلته برفيقاتِها مجدداً؟

- هذا ما نريد معرفته منها، لكنها لم تنطقْ بشيء، لذلك طلبنا حضوركِ، كما إنَّ رفيقاتها يشاركونها حقَّ السكوت مثلها.

نظرتْ إليّ وعيناها تشططُ بي غضبًا وقالتْ:

- تكلمي يا فتاة، وإلّا أنتِ تعلمين ما الّذي سيحل بكِ حينَ تعودين إلى البيتِ.

أجبتها بشيءٍ من القوةِ احتفظتُ بها لليومِ الّذي يرخي فيهِ دفاعي:

- لم أفعل شيء، ثمَّ ما الّذي سيحلُّ بي أكثر من هذا؟

ما أن تحدثت حتّى صفعتني كي تعيد إليَّ رشدي، لكنها بذلك أوقدتْ رماد الحطام الّذي بداخلي:

- كفاكِ يا أمي، تجاهلي الجميع وقفي معنا، إلى متى...!

في لحظتِها هناك ما اخرس لساني فجْأَةً؛ حين سمعتُ خطى أقدام تقترب من الغرفةِ، حدسي لا يخطئ تلك الخطوات التائهة، نظرتُ نحو من يدعين بالصديقاتِ

رأيتهنَّ يتهامسنَّ الحديث بصوتٍ خافت ويضحكنَّ حين وقعتْ أنظارهُنَّ بالبابِ نحو مَن هو قادم، ويتّطلعن بأمي التي أرهقها الصمود، تقدمَ ببطءٍ، كنت أعلم أنَّه هو إلى أن وصل وأضحى واقفًا عند الباب. كلُّ شيء أصبحَ يدور من حولي، أطلقتُ العنان لنفسي وألقيت بنظري عليه، جعلته نصبهما وصرختُ بما لدي:

- أبي ليسَ مجنون.[٣]

[٣] هذه القصة فائزة في مسابقة دار الابداع الثانية للقصة القصيرة دورة القاص المرحوم صالح عمر الشريف، ومشاركة في كتابها الورقي.

# ماسات ثلجية

ذات يومٍ في شتاءٍ باردٍ جدًا لا يحتمل أيَّ مجازفاتٍ صيفية، كنتُ جالسةً في تلك الغرفة كانتْ ملجأ لاحتواء دموعي الّتي أصبحتْ كمكعباتٍ ثلجية، وعلى ذلك المقعدِ الّذي لطالما جلستُ عليه وأصبح كعادةٍ لدي أو دواءٍ يشفي العلَّة الّتي تعيش داخل أضلعي الهاوية.
أنتظر، وأنتظر.
إلى أنْ باتتْ برودة المكان تأكل أطراف أصابعي، ولكي أمنع وصولها لقلبي أخذتُ أدفنها بقوةٍ داخل وشاحي الّذي غَدا هو الآخر شاحبًا أكثر من صاحبَتِه المتظاهرة بالصمودِ، على حينَ غرَّة لمحتُ موكبًا ثلجيًا.
أجل، إنَّها هي! لم أكن أحلم، كيفَ يعقل أن يكون لذلك الثلج رائحةً عطرةٌ؟ تكادُ أن تعتلي أنفاسي وتستعمر آخر ما تبقى بأوطاني، لم أستطِع مجاراتها لأني قد أغرمتُ على اتباعِ خطواتها الموسيقية، و أدمنتُ

تحركاتها الرشيقة وهي تراقص قلبي بأجنحةٍ ضوئيةٍ.
أمسكتُ بها بكلِّ قوتي، لم أرِد أن تغادرني بعدَ أن قمعتْ آخر محاولات انطفاء لروحي الفاقدة، مع ذلك كانتْ تبتعدُ كلَّما أمسكتها بإحكامٍ إلى أن أفلتتْ يدي، هويتُ أنا في دركٍ تحتويه مياهٌ شتوية، فجأة وأنا أسقط فزعتُ لاصطدام شيءٍ آخرَ قبلَ سقوطي؛ فنظرتُ وإذ بكتابي سقطَ من طاولةِ مقعدي، فتلون وجهي بابتسامةٍ منكسرة؛ فما حصلَ للتوِ ليسَ سوى حلمٍ ثلجيٍ، حملتُ الكتاب من الأرضِ، وحينَ نهضت به ورفعتُ رأسي إلى حيث مقصدي، وإذ بي أراه أمامي يرمقني بنظرةٍ كانتْ وكأنَّها ماساتٌ ثلجية.[٤]

[٤] فائزة ضمن المسابقة الثانية للقصة القصيرة برعاية "مجلة أمارجي الأدبية"، حائزة على درع الابداع والتميز.

## رسالة

عندَ نافذة الحافلة رُشَّتْ قطراتُ المطر على زجاجِها، نظـرتُ إلى السمــاءِ ملبـدة بغمــامةٍ ســوداء، شعــرتُ بالاطمئنانِ قليلًا، أثنيتُ عليها بداخلي كونها تتحمل عنوةً مواساة أوهام رجل فقير الحيلة، أخرجتُ كفَّ يدي لمصافحة بعضهـا، شكــرتها على رفقتِهــا الدائمـة لي، تحدثني وأحدثها عن الّتي علقتْ فؤادي بحافلاتِ المشاة أبتغي رؤية طيفها، دونَ أن تسأم من تجلياتِ قلبي الهاذِ بفتاتي الغائبة واليوم سألتني ذاتَ السؤال الّذي لا أطيقُ سماعه منها تستفزُّني به، تضعفني، تدفعني إلى الصمتِ، تعقدُ لساني داخل فمي تمنعني الإجابة، تثير غضبي أكثر حينَ تطلق نسائمها ضحكات رشيقة، تقهقه عاليًا ساخرة من محاولاتي البالية:

- كَمْ مضى على ذلك، وأنتَ تعود في كلِّ مرة بنفسِ الـوجـه العـابس ، أتعلـمْ ، أشعـرُ أنَّ مقـاعـدَ الحافـلات

كرهتكَ حقًّاً، تطيل الجلوس عليها متجاهلًا أنَّها لا تتحمل جسدك الثقيل فقط، وإنَّما لا تتحمل همَّكَ الطويل أيضًا.

أجبتها:

- عامين انقضتْ على لقائِنا الأخير، لمَ لا تغادرين أنتِ أيضًا، ألم تكرهينَ وجودي بعد؟

- على مهلِكَ، يبدو أنَّكَ عدتَ خائبًا مجددًا؟ مَن قال أنَّني لا أكرهكَ، إلّا أنَّ قصَّتكَ تغري مسمعي.

- لو كنتُ رأيتها حقًّاً، لما عدتُ دون ملامحي، وما رأيتِ منّي هذه التقاسيم الحزينة، تمنيت أنْ أحظى بها اليوم، لأخبرتها أن القصّة التي كتبتها عنها حظيتْ بالفوزِ هي الأخرى.

- لا تبتئسْ، سأخبرها أنا بذلك.

- أحسدكِ لأنكِ ترينها، أخبريني ألا تزال جميلة؟

- لا أرى أنها جميلة إلّا حينَ تتكلم كالمجنونِ عنها.

- لا بدّ أنَّكِ تشعرين بالغيرةِ منها؟

- عذرًا، فأنا سماء والإناث تغار، وتكره أن تقارن أو تهان.

- لا بأس، لم أقُل أنَّكِ لستِ جميلة، ففي نهايةِ المطاف لا أحد سواكِ من يزهو بقلبي المعتم.

- سأعلن عن غروريَ يا هذا.

لفحتْ وجهي برياحِها الباردة لتنعش أنفاسي لعشق تلك الواعدة، تناظرتْ أمامي قائلة:

- ها أنا هي سمائكَ الواعدة.

- إليكِ عني، حبّها بفؤادي كالنيرانِ اللاهبة لن أخونها، ولن تقيدني بريحٍ عاصفةَ.

أغلقتُ نافذة السيارة، أتصدى إغرائها ومحاولاتها الإيقاع بي:

- يا لها من مجنونةٍ.

توقفتْ السيارة عندَ أحد التقاطعات، وأدركتُ حينها بأنَّني انجرفت بأوهامي، وطريق منزلي أصبحَ خلفي الآن، نزلتُ منها وعدتُ أدراجي سيرًا بقدمين ثكلى، كانَ

المطرُ غزيرًا يسقط برذاذه عليَّ ساخرًا من حماقاتي، وصلتُ البيت أخيرًا فتحتُ بابَ المنزل بسرعةٍ، نظرتُ لهم ضاحكًا بخبث:

- لن تدخلوا بيتيَ الآن.

أغلقتُ الباب بقوة، نزعتُ الأكمام من يداي المحمرة والباردة، فركتهما ببعضِهما لكي أدفئهما، خلعتُ سترتي المبللة بماءِ المطر، علقتها جانبًا غيرَ مبالٍ بما أحدثته بالأرضيـةِ، أوقدتُ المدفئة، توجهتُ نحـو حاسوبي مباشرة، تصفحتُ الشاشة الرئيسية، وصلتني الكثير من التعليقاتِ والإعجاب وبعض الرسائل التي علقتْ بأعلى شريط المهام، أرسلتها جميعها إلى سلَّةِ المهملات دون أن ألقي نظرةً عليها. كنت سعيدًا لكوني نلتُ الفوز بقصَّتي، رغبتُ بالإفصاحِ عن سعادتي لِمَن تابعني؛ فنشرتُ منشورًا تعبيرًا عن فرحي، ترددتُ قليلًا في وضعِ صورتي لكنَّني قلت لنفسي:

- ربَّما حان الوقت لكي يرى العالم من هو البائس الّذي يختبِئ وراء هذا الحساب.

ضغطتُ على زرِّ النشر، بقيتُ أرتقب حقلَ التعليقات رغم شعوري بالنعاسِ الّذي تملكني لحظتها أتطلع بالشاشة متمعنًا لدقائق إلى أنْ أصابني الملل، تركتُ الحاسوب على الطاولةِ، واستلقيتُ على الأريكةِ، ناظرا بسقف الغرفة دون أن أفكر بشيء، وفي صفوة تأملاتي تلك تبعثر ذهني بصفير الابريق وهو يغلي، تركته على الموقد عندَ عودتي نهضتُ مسرعًا لأرى ما حلَّ به، وجدتُ أنَّ الشاي احترق وتبخر ماءُه، فقدتُ شهيتي في اعداده ثانيةً. ذهبتُ نحوَ الطاولة لكي أغلق الحاسوب لفَحَتِ الرياح وجهي مجددًا نظرت لكي أرى مصدرها، وإذ بي أرى نافذةَ الغرفة فتحتْ، توجهت لإغلاقها:

- ما الّذي أتى بكِ مجددًا؟
- عدتُ لأطمئن عليكَ.
- لم تسأمي منّي؟ دعيني وشأني!

- أريد أنْ أُخبركَ بشيء.
- لا أريد سماع أيَّ شيءٍ منكِ، أرحلي فقط.
أغلقتُ النافذة بقوة، تمكن مني الغضب لم أكن أريد سماعها كنت أنانيًا اتجاهها، لطالما شكوتُ لها ولكنني لم أكن أسمعها ولو لمرة واحدة، نظرتُ نحوَ الحاسوب وفي اللحظةِ الّتي أردتُ أنْ أضغط فيه زرَّ الإطفاء ظهرَ اِشعارٌ من أحدِهم، هي نفس الشخص الّذي كانَ يراقبني دائمًا، تتفاعل معي بصمت لطالما أثارَ فضولي نحوها ولكن لم أتجرأ على الحديث معها، والآن هي ترسل رسالتها الأولى إليَّ، تصفحتُ رسالتها بسرعة:
- أ أنتَ مراد؟
- نعم، أنا هو!
- كنتَ ترتاد جامعة الآداب؟
- أجل، كان ذلك في السابقِ.
- أنا فدوى التي كنتَ تراها بالحافلةِ.

تملكتني الصدمة لوهلة ، هل عليَّ أن أقفزَ فرحًا أم أخبرها أنني كنت بانتظارها؟ حملتني نفسي نحوَ النافذة دونَ شعور، تّطلعتُ بالسماءِ عانَقتها أنفاسي. همستْ في أذني قائلة:

- كنت أريد أنْ أخبركَ بقدومِها، لكنكَ أغلقتَ نوافذكَ أمامي.

# نِهاية حلم

ها أنا ذا قد وطأت قدماي الحرم الجامعي، هرولتُ مسرعة، غير مكترثة لما حولي إلى أن ارتطمت مع رجل غريب، متعجلًا في مشيهِ، وكأنه همَّ بشيء أطفأ ضياء أحداقه، ولفَّ ساقيه ببعضهما، تلعثمتْ حروفه بين أوتار حنجرته ولسانه كما وأنها أُلقَيتْ من مكانٍ عالٍ لتستقر بفيهِ ومقلتيه، مصعوقًا ومرتعشاً لحقيقةٍ ما.
تنفستُ الصعداء وأنا أضع يدي على صدري، أستنشق الهواء، استمحتُ منه عذرًا لعدمِ انْتباهي في الطريقِ:
- أنا أسفة جدًا.
لكنه لم يأبه لما قلته وواصل سيره متخبطًا، هُنَيهة تَذكرت أنه أخٌ لزميلٍ لي في الدراسةِ، اِلتفتُ للخلفِ كي أسأله:
- عذرًا، ألستَ أنتَ شقيق أحمد؟
لكنه اختفى حالًا من الممر، وماهي إلّا ثوان، خرجتْ امرأة ودموعها تَسبق صرختها المكتومة، مرَّتْ بجانبي

تُتمتم بكلماتٍ، لا أكاد أفقه منها شيء، حالتها اعتصرت قلبي بِشدَّة:

- استغفر الله، ما هذا اليوم!

أكملتُ السير إلى الممر الرئيسي، دهشت لوجود السجاد الأحمر على الأرضِ كإحدى حفلات الأوسكار الشهيرة، خشيت أن أمشي عليه خوفًا من أن أفسد جودته و لمعان أنسجته الحريرية، وأنا أُلقي النظر إليه بلهفةٍ عارمة.

رفعتُ هامتي، أغمضتُ عيني، قدمتُ قدمي اليمنى لكي أخطو عليه، نادتني إحداهن باسمي " فرح" سحبتني من يدي بقوةٍ:

- فرح، ماذا تفعلين؟

- يا إلهي، فتنتُ بشاعرية المنظرِ.

- أسرعي.

- نعم، لقد تأخرت.

على عجلةٍ أخرجتُ لباس التخرج الرسمي من حقيبتي، مدَّتْ صديقتي يد العون لتساعدني في ارتداءهِ، وترتيب ياقته البيضاء إلى أن وصلنا باب قاعة الاحتفال الكبيرة.
انتصبتُ للحظةٍ، اغتالتني العبارات، تذكرتُ اليوم الأول لي في المدرسةِ، حينَ أخذتني والدتي إليها، بكيتُ كثيرًا، وأعلنتُ تمردي بعدم الدخولِ وقتها، وبعدها أحببتُ فيها الحرف، وطمحتُ للعلم، وعلمتُ أنَّها الأم الثانية الّتي تحقق الحلم، واليوم سأنحني تبجيلًا للمعلم الّذي درسَنيْ.
وضعت القبعة على رأسي، مسحتُ دموعي بأطرافِ أصابعي، فتحتُ الباب بكلتا يداي، وإذ بي أرى الجميع متواجدين هنا، يجلسون على مقاعد خشبية، أصوات بهيجة، وأضواء منيرة. دفعتني صديقتي نحوَ الأمام:
- هيّا تَحركي.
- حسنًا، تمهلي.

ذاتَ السجاد الأحمر، ابتسمت ثمَّ سرتُ عليه، وإذ بالحاضرين ينظرون إليّ وكأنَّني نجمُ حفلِ الليلة، احمرتْ وجنتي خجلًا.

لكن مع كلِّ خطوةٍ أخطوها يتلاشى مَن أصبح خلفي، الباب وبعض الأشخاص بل وحتّى صديقتي:

- ماذا يحدثُ معي.

رأيتُ أمي وأبي، وأخواتي عندَ أحد المقاعد يناظروني وهم يجهشون بالبكاءِ، وتساءلتُ في نفسي:

- ما بهم اليوم؟ يبدو أنَّهم متفقون على جعلي أشاركهم البكاء أيضًا.

وحالما عبرتهم اختفوا الواحد تلو الآخر، وقفت برهة، كنتُ على وشكِ اللحاق بهم لكن شدّ انتباهي عميد الجامعة يقول:

- تَقدمي يا "فرح" لِنيل شهادتكِ.

عندما استدرت له وجدتُ عنده أحمد واقفًا يطالعني متبسما، هدجت نحو منصة التكريم، مدّ أحمد لي يده،

ترددت في مسكها، أومأ برأسِه شعرت بالاطمئنانِ، صعدت المدرجات، وصرت قبالة العميد، ألقى تحية وقال:

- مبارك لكِ الشهادة.

تسلمتها منه، توارى هو أيضًا مع الآخرين، لم يبقَ سوانا أنا وأحمد، وضع يده على كتفي ومن ثمَّ أسقطتُ نظري على الشهادةِ مكتوب فيها:

- توفيتْ فرح خالد، الساعة ١٠:٠٠ إثر حادث سير.

# الاستلاب

نهضتُ من السريرِ بحركةٍ متثاقلة وكأن جسدي كومة من الصخورِ الكلسية المثقوبة، و روحي هي تلك الرمال الّتي تنساب ببطءٍ داخلي، متعب كرجلٍ مُسن مشبع بعقاقيرِ مرارة الحياة، وأرقٌ يحتاط بي متلبسًا هدوء ليلي. نظرتُ بكسلٍ حولي وأطلقتُ العنان لمقلتي لاستشعار المكان:

- أهذهِ حقًّاً غرفتي؟

فوضى لا متناهية تعصف بحبوحتي، وتندد برقاقاتها المجهرية عالمي، كنت لأمنعها لولا هذه الأغلال الّتي تعيق حركتي، أغفلتُ النفس عن هذه الرؤى، وتجاهلتُ سؤال نفسي المبهم، توجهتُ نحوَ المرآة، وحالما حدقت بوجهي حلَّ الصمت بالمكانِ:

- كيفَ يكون للصمتِ هذه الأصوات المزعجة؟ تكاد أن تمزق صيوان أذني!

أشحتُ بنظري من خلال المرآة إليه، كانَ يقف خلفي، لم أشعرْ بالخوفِ مطلقًا، اعتدتُ على رؤيته قابع خلفي، لا أعرف من أين أتى؟ إلّا أنَّه هنا منذ أيام وربَّما شهور. ليسَ لديّ أدنى فكرة كَمَ مضى على مكوثِه هنا؟ يبدو لطيفًا، رغم أن حجم جسمه الهائل والمظلم أعتمَ كلَّ شيء لكنني أحببتُ تواجده معي، لا يتفوه كثيرًا وإنْ فعلَ ذلك فإنه يلقي بحراً من الكلماتِ تنغمس فيها دونَ مقاومة منك. تجاهلته وأكملتُ تحديقي لمحتُ هالات سوداء نصبتْ خيامها وشدَّتْ وثاقها تحت عينَيَّ، بشرة شاحبة كصحراء قاحلة:

- ما هذا الوجه الميت؟ لا بدَّ من أنَّني أسرفت، في السهرِ أمسَ.

اقترب من أذني وهمسَ لي، تبسم بابتسامة صفراء:

- ها أنا أسلب منكَ صحتكَ.

طالعته بطرفِ عيني:

- ابتعد عني.

تركته يقف عندَ المرآة، وذهبتُ نحوَ النافذة لأستنشق بعض الهواء لكن حالما فتحتها اسقطتْ الشمس ضوئها بي، أغلقت عيناي بقوة، حجبتها من الوصولِ إليّ بكفِّ يدي:

- يا لهذا النهار، شمسٌ ساطعة.

ردَّ قائلًا:

- استخلصتكَ لنفسي.

- أنتَ! ماذا تظنُّ نفسكَ فاعلًا؟ توقف عن الثرثرةِ.

خرجتُ من الغرفةِ أتحامل غضبًا عليه.

- ذلك المعتوه إلى ماذا كانَ يصبو يا ترى؟

لم أرَ أمامي أثناء هذا سوى كأس ماء بارد وضعته أمي على مائدةِ الطعام، شعرتُ بالظمأ وبلا تفكير شربتُ الكأس دفعةً واحدة وأنا أُناديها:

- أمّي.

- أمّي.

ربَّما لأنَّها منشغلة لم تستطِع سماعي، حاولتُ ثانية محادثتها بنبرة أعلى:

- أمّي، ما الّذي تعديه لنا اليوم؟

بل لم تكن لتسمعني حقًّاً، تمَلكني الخوف، لا بدَّ من أنَّها تمازحني! اقتربتُ منها لكي أمسكها، لكن يديّ مرَّت من خلالها، والتفّتْ وأدارتْ رأسها نحوَ غرفتي وهي تنادي باسمي ومن ثمَّ إخوتي، أقبلتُ أمامها:

- أنا هنا، أنا أمامكِ يا أمي!

إنَّها لم تكن لتراني أيضًا، ذُعرت وارتعشتُ رعبًا، شُلَّت حركتي:

- لا بدَّ من أني أشعر بالمرضِ.

أنا فقط من يرى جميع عائلتي يتراصفون حولَ مائدة الطعام، أنقدتُ نحوَ كلِّ واحد منهم، عبسًا! لم أكن مرئيًا لهم، بينما هوَ يقف عندَ باب غرفتي محدقًا بي متبجحًا، وحده من يراني ويردد كلماته:

- لا أحد يستطيع رؤيتك.

- لم تعد موجودًا.
أبعدته عن طريقي لكنه لم يأبه لي قائلًا:
- أنتَ لي وحدي، دعني أُساعدكَ، مدّ يدكَ إليَّ.
فقدتُ توازني، سرت إلِيه بإرادتي وحالما وقعت قدماي عتبة باب الغرفة وإذ بي دفعته بكلتا يديّ داخلها، أمسكتُ مقبض الباب وأغلقته بإحكام، فجأةً أحدهم وضعَ يده على كتفي، تصلبتُ بمكاني، جمعتُ رباطة جأشي، نظرتُ إلى كتفي وأنا أتهاوى هلعًا وإذ بها يد أمي قائلةً:
- من الجيدِ أنكَ تركتَ هاتفكَ الملعون.
أنا أسمعها الآن، وهي تراني مجددًا، عادَ كلُّ شيء إلى نصابه.
- أمي أعدكِ بأنَّني لن أجلسَ طويلًا على شاشة الهاتف المحمول مرة أخرى.

# كورونا

- ولدي، ليسَ عليك العمل كلَّ يوم.
- أمّي ألا تسمعين الأخبار؟ إنْ لم أفعلها أنا سيفعلها أحدهم غيري.
- أنتَ تعرض نفسكَ للخطرِ.
- ألا تعتقدين أن خسارة واحدة أفضل من خسارة الجميع دفعة واحدة؟
- يا ولدي توجد دوريات مختصَّة بإسعاف المرضى، إنَّها مستعدة دائمًا لتقديم المساعدة للآخرين.
- من تقصدينهم لن ينقذونا، أنهم عاجزون حتّى عن مساعدةِ أنفسهم، انظري إلى ما فعلوه! حجروا العالم بأسره فقط، وأيضًا هناك الكثير منهم بالخارجِ يمنعوننا حتّى من مساعدة أنفسنا، لن يقدروا على إنقاذِ العالم وحدهم من هذا الفيروس يا أمي.

- ولــدي ، أنــا لا أريــد أن أفقــدكَ بعـد كـلِّ هــذه التضحيات، أرجوا أن تفهمَ هذا.

- أنــا أفهمـكِ يا أمــي ، لا تقلقــي لن يمُـت ابنكِ بهذهِ السهولة.

- كن حذراً، أخشى عليكَ من الإصابةِ بالمرضِ أيضًا.

- أنا حذر، من ثمَّ أنتِ متعبة، لا تخشي عليَّ و ترهقي نفسكِ بي.

- حسناً، اِحترس الاقتراب منْ أحدهم.

- مثلما تأمرين لن أقتربَ، وأيضًا ربَّما سوف أتأخر بالعودةِ إلى المنزلِ، لذا لا تجعلينَ الخوف يساورِكِ، أمي إلى حينَ عودتي اِعتني بنفسكِ وبأخواتي.

- رافقتكَ السلامة.

- إلى اللقاءِ أمي.

- فليحفظك الله.

مضتْ شهور مُنذُ اعلان هيمنته، الغزو المجهول هكذا نسميه. أستيقظ كلَّ يوم قبلَ أن تلج الشمس ضيائها

على الأرضِ، كنا نخاف أن تمضي الساعات بنا دونَ أن نكتسب بضعة منه للنجاةِ، فالوقت كانَ يسير بسرعةٍ عكسية قاتلة زائحًا من أمامه كلَّ المجازفات.

على بضعة خطوات منْ المنزل، وضعتُ كامة الأنف وارتديتُ قفازات اليد المعقمة. يا لَسخرية القدر كانَ منْ بينِ جميع الأسلحة هذا هو سلاحنا الوحيد، الأمر الّذي يجعلك عاجزًا أمام هذا الفيروس الهائج بقوته نحوَ جنس البشرية الضعيف. أسيرُ وحدي إلى عملي وأختلس النظر بينَ الطرقات والأزقَّة رغم أنَّها كانتْ خالية من الناسِ، حياة معدومة، غير الصالحة للعيشِ، كلُّ شيء توقف عن العملِ، كنتُ أشعر أثناء ذلك كأني أخوض تجربة أحد أبطال أفلام هوليوود العالمية، لكن هذه المرة كانتْ التكلفة أجسادنا والمشاهدة أنت مجبرٌ عليها، لأنَّها الأكثر رعباً وتحطيمًا للأرقام القياسية.

نعم، قياسية طالما ضحية هذا الغزو هي أرواحنا. أكملتُ طريقي فاقدًا للأملِ ومع ذلك كنتُ أعمل بجهد لأوقات

متأخرة أحيانًا، من أجل مبادئ حبيبتي لجين ونظرتها الملهمة للحياة، ذاتَ مرة قالتْ:

"حينَ يتخذ المرء الإرادة طريقاً له لن يهزمَ أبدًا".

تعلمتُ الكثير منها عدا أن أتعلم وأمتلك أرادة الاعتراف لها بمشاعري الحقيقة نحوها، أتذكر لقاءنا ذلك، حينَ توجهتُ إلى العمل كما هو معتاد في مصنع المستلزمات الطبّية، وحالما وصلت إلى البوابة الرئيسية رأيتها من مسافة ليستْ ببعيدة تسير إلى داخل المبنى بخطى ثابتة، مرتدية معطفًا طويلًا بني اللون توسطه حزام يظهر مدى قوام جسدها الممشوق، وألتفَّ حولَ عنقها وشاحاً أصفرا صوفي، مشيتُ خلفها مستغربًا، متسائلًا حولَ قدومها في هذا وقت، حينها لمحتُ صديقي عادل أشار ليّ بحاجبه نحوها حينَ رأى أنَّني لستُ على طبيعتي، أومأت له بصوتٍ منخفض.

- نعم، إنَّها هي.

أُصبتُ بالجنون من محاولة معرفة سبب حضورها آنذاك، أدركتُ فيما بعد بأنه تمّ نقل عملها معنا، لكني رغبتُ بسؤالها ليسَ فضولا بل أردتُ أن أكون أقرب فردٍ لها هنا. تشبثتُ بأول فرصة وقعتْ أمامي، حين رأيتها جالسة لوحدها تتناول طعامها، أيقنتْ لحين حينها أنَّني أحدقُ بها كما وأنَّها تعلم بأنَّني أنتظر منها إشارةً، أزاحتْ خصلة شعرها الأسود عن وجهها مبتسمة، مشيتُ إليها وطلبتُ مجالستها ومشاركتها الطاولة، لم تمانعْ في ذلك قلتُ:

- أنا أَعرفكِ؟

كانَ سؤالي سخيفًا وبدوت كالأحمق حين أجابتني:

- نحن نعمل في ذات المصنع.

مذّ تلك اللحظة أصبحتُ الأقرب لها. واليوم حين تركتُ أمي تعهدتُ بيني وبين نفسي أنْ أفصح عما في داخلي خوفًا من أن يأخذني ذلك المرض المميت ويلقي بي منفيًا بعيدا عنها تحت عشرات الأمتار من الأرضِ، لم

أرِد أن أتركها لوحدها تواجه متاعب الحياة، كانتْ تتألم بشدَّة في كلِّ مرة تتقلص فيها أعدادنا ونسقط واحداً تلو أخرى بلا وداع، دخلتُ المبنى ورأيتها تحزم أغراضها ويحاول البعض تجنبها والآخر ينظر لها بشفقة، وحالما استشعرتْ وجودي استدارتْ ناظرة إليّ ببشاشة، أسرعتُ إليها قائلًا:

- ما بكِ لجين؟

- لا شيء على الاطلاق.

- إذَاً ما بالهم ينظرون لكِ؟

- لا أعلم، أنا أحزم بعض الأمتعة غير المفيدة فقط، ربَّما يعتقدون أنني سأرحل من هنا.

حاولت أن لا أفقد لهفتي بالإفصاح وأخبرها بما يجب أن تعلم بشأنِه، لكنها قاطعتني وهي تنظر لي بنظرة آمله تحدثتْ بنبرة رتيبة وغريبة:

- وأنا أيضًا أريد أخبارك بشيءٍ.

أجبتها بسرعةٍ، والتوتر يحتاط بي:

- لجين، أنا أحبكِ.

اغرورقتْ عيناها قائلة:

- تأخرتَ جدًا يا مصطفى، وقعَ كورونا بحبّي أولًا، أنا مصابة بالفيروسِ.

# اللغز القديم

صلبٌ لكنني أحتاج إلى يَدَينِ ناعمتين لصنعيَ، وقلبٍ رقيقٍ لصقلي، وعقلٍ حكيمٍ لحملي، مَنْ أنا؟

- أمي، أأنتِ متأكدة أنَّكِ لا تعرفين حلَّ هذا اللغز؟

- حاولتُ معه كثيرًا، لكنني فشلتُ في ذلك.

- عجباً! إلى ماذا كانتْ ترمي جدَّتي حينَ نقشتْ هذهِ الكلمات بظهرِ القلادة؟

تَنهدتُ حيرةً، حدقتُ بالقلادة، قلبتها يمينًا وشمالًا لعلّي أقعُ بأثرٍ أو علامة تفضح سرَّها لم أجدْ سوى ما قرأته آلاف المرات، علقتُ بفضاء التحديق؛ انتابني النعاس، شعرتُ بالوسنِ، وضعتُ ذراعاي على الطاولةِ، أسندتُ رأسي عليهما، غطّتُ بنومٍ عميق.

- أنتِ يا فتاة، هل تسمعينني؟

- ماذا؟

- هل أنتِ بخيرٍ؟

العالم يدور حول رَأْسي، أضطرب توازني، أثقل عقلي بالضياعِ، رُؤية مشوشة، ظلال غير واضحة، التحفَ الدفء روحي، نفحات رياحًا باردة ترتطم بوجهي. من أين أتتْ والنافذة مغلقة؟ أأنا محمومةً أم أنني أهذي أثناء نومي؟ أحدهم يمسكني، يصفع وجنتاي برفق، يردد بصوتٍ مرتجف:

- بُنيتي، هل أنتِ بخير؟ ماذا حدثَ معكِ؟

دعكتُ عيني لأرى، منْ الّذي يجلس جانبي ويتفقدني؟

- لا تخافِ، بإمكاني أن أساعدكِ.

- منْ أنتِ يا خالة؟ أين أنا؟ لِمَ أنا ملقاة وسطَ هذه الحشائش الخضراء!

- أنا مَن عليها أن تسألكِ هذا! كنت أراقبكِ منذ ساعات وأنتِ نائمة على الأرضِ، لا يبدو أنَّكِ من هذه القرى.

- كيفَ حدثَ هذا؟

- أرى أنَّكِ متعبة، لِمَ لا تأتين معي لكي تستريحي قليلًا؟

**- نعم، يا خالة... الشمس دافئة، الهواءُ عليل عندكم!**
**- أصبتيَ، هذا لأنَكِ في الأهوار العراقِيَّة، في الربيعِ تصبح وكأنَّها جنَّةَ الله على الأرضِ.**
**- ماذا؟**
**- الربيع! ألسنا في فصل الصيف؟**
**- ألا تفرقين بينهم! أُنظري إلى تلك الزهور المتفتحة.**
**- لكن، كيفَ حصلَ هذا! قبلَ برهة... ؟**
**- ماذا يجري معكِ ابنتي؟**
**- ما العام الذي نحن به الآن؟**
**هلعتُ بعودتي إلى عقبة زمنية ماضية، مكان لا أنتمي إليه، طرازٌ قديم، حياةُ الريفِ البسيطة، أنهارٌ جاريةٌ عذبةٌ، خضرةٌ مبهجةٌ، لا بدّ أنني أحلم وسأستيقظُ عما قريب؟**
**أوصلتني إلى بيتها القصبي، خائفة، قلقة ووحيدة، ولا يوجد طريقة للرجوع إلى عالمي؟ ناولتني الماء، جلبتِ الطعام، طلبتِ الرجاء لكي أكلَ وأملأ معدتي الخاوية**

بين الفينة والأخرى، لم أستطِع مضغ سوى بعض الرز والحساء.

عاينتها من بعيدٍ، تعمل دون أنْ تشعرَ بالكللِ، خجلتُ من نفسي، نفضتُ ثيابي، قمتُ لأساعدها، وجدتها عندَ كومة قشِّ القمح الناعم، حملتهم إلى أنْ وضعتهم على صلصال، تخلطهم تارة جميعاً بمياهِ النهر، وتعجنهم تارة أخرى.

- إلى ماذا أنتِ ناظرة؟ تعالي وساعديني.

مشيتُ لعندِها، طلبتْ منّي أن أرتقب عن كثبٍ ما تقوم به، حيناً تأمرني بسكبِ إبريق الماء بتأنٍ، وحيناً آخر أدلك الطين برفقٍ، تساءلتُ بشأن صبرها، دقَّتها، تراها ماذا هي صانعة من هذا؟

حالما تخمر الطين، صنعَتْ منه أسطواناتٍ طويلة، ركنت الأولى على الأرضِ، ساوتها بشكلٍ دائري، ثمّ تصقلها مع كلِّ واحدة ترصفها فوقها، قلدتُ حركاتها، أخفقتُ في المحاولة، فأخذت بقبضتي وهما تتعلمانِ

صقل العجين بعنايةٍ مرةً تلو الأخرى، استطعت إنجاز بركان الطين، هذا ما خيل إليّ أو هذا ما أنا أطلقته عليه... استحوذَ الفضول عقليَ، أقبلتُ عليها وسالتها:

- ما هذا الّذي بنيناه يا خالة؟

- ألم تعرفيه يا ابنتي!

- آاااا ربَّما سمعت عنه.

- إنَّه " تنور الطين "، يُخبز فيه العجين، لن تتمكني من صناعته إلا إنْ كنتِ تملكين أنامل كفّ مهارةٍ تحسن صناعته، وقلب رقيق دافئ لصقله، والأهم منْ هذا عقلاً راجحاً لهندسة بناءه وجعله صلبٌ، يقاوم لهيب النار، أدخلتْ يدها بين ثيابها وأخرجتْ من بين نهديها قلادة:

- تفضلي، هذه لكِ.

- أنها قلادة جميلة!

- نعم، الآن أصبحتْ ملككِ.

تسمرتُ، غارتْ أحداقي، وقلتُ بنفسي: إنَّها جدَّتي؟

استيقظت فزعةٍ من النومِ لأجد أنَّني أقبع في غرفتي، وكلّ شيء عادَ إلى ما كان عليه، والقلادة لاتزال بين راحة يدي، فابتسمتُ.

# خلفَ الجدار

رائحة البارود تنتشي نقاوة الهواء، ريحًا حارَّة مهاجرة تيهًا في الفضاءِ، تنقب عبثًا عن تربةً تأويها وسماءٍ تجتذبها إليها فتحييها، قذائفٌ تعزفُ ألحانَ الاحتضارِ الأخير، أرواحٌ تهلهل باكية يطربها الموت، أوطانٌ تْتوعد الصمود فُنيث بينَ أنقاض الركام، نوافذ شاكية، مختنقة يحتاط بها دخانُ حربٍ ضارية، ناظرة إلى ما وراء بقعة الضوء الّتي حرقتْ سجاد أرضية المنزل مستنجدة، صراخ الأطفال يعدوا، ويتعدى الأميال حيث كوخ الطفولة، رجال تَلبستهم أطيافهم جسورًا، صهروا الأجساد ساترًا رمليةً.

حافية القدمين ، متورمة البنان ، مخدوشة من بقايا الأحجار المنحدرة وشظايا الزجاج المتناثر كإبرٍ شوكية، متخدرةً بحلمِ اليقظةِ، نفضتُ الثوب من الغبارِ، لمستُ وجنتي، التصق السواد هاربًا براحتي، مشيتُ مترنحة،

استقمتُ واقفة إزاء جدارٍ يقاوم التاريخ والمكان، حملقت به بصمتِ المنونِ، كِلّانا رهن إشارةً لخوض حديث.

جالَ البصر جانبًا، لمحتُ صورةً بينَ الهشيم حملتها، نفختُ عليها بفاهي المكتوم جبرًا، مسحتُ إطارها بأصابعي المرضوضة، تذكارًا لعائلتنا، نقفُ جميعنا عقبَ حائطٍ، المهجة تَتحدث بحالِنا، المُقلَّة تحاكي ألف قصةٍ احتضنتنا، كنا يومها نحتفل بيومِ مولدي الثامنَ، أخي يقفُ بجانبي، وأختي الصغرى أمامي، وأمّي وأبي خلفي يضموننا بينَ ذراعيهم.

أدرتُ وجهي أراني أقف وحيدة دونَ أحبتي:

- ماذا حدث؟

تنهدتُ، ضممتُها إلى كنفيَ ثمَّ أَعدتها، تقهقرتُ قليلًا لأراها عن بعدٍ وهي تشارك الأسى مع ركاكة هيكلٍ ذبيح، قعدتُ القرفصاء، تأملتها، و تأملتها..

أتعبها تحديقي بها؛ فسقطتْ بهدوءٍ، نهضتُ من مكاني، أخذتها وعلقتها، عدتُ أدراجي وجلستُ، تدبرتها.

بعدَ برهةٍ وقعتْ، تكسر زجاجها لكن إطارها بقيَ صامدًا بلا أضرار تحسمُ الوضع، لم أرخِ لذا قمتُ، وراهنتُ اللحظة على أنْ تبقى محلقة في فضاء الغرفةِ، انتشلتها من الأرضِ، ثبتها من الأسفلِ بمسمارٍ طَرقته مرارًا وتكرارًا، وأنا أنتحب ألمًا والثقوب أضحتْ تنزف دمًا مع كلِّ تأوه يبوحُ به الفؤاد.

تمكنت من وضعِها أخيرًا، تهاوتْ قطرةُ ماءٍ أجاج من مُقلتي؛ فَهار لها الجدار قبالتي، وخلفهُ أنجلتْ أجساد أهليَ ميتةٌ تحتَ الحطامِ، متأثرة بوقوعِ صاروخ العدو فوقَ بيتنا.

# أنا و الخرافة

كنتُ مستلقية على الأريكةِ الخشبية، ملتحفة بالغطاءِ الصوفي، ودوِيّ الرياح عالٍ جدًا في الخارجِ، حيث يرتطمُ بالنوافذِ بقوةٍ، مخلفًا صوتًا مخيفًا، وميض الإنارة يثير الريبة، وأنا قلقةٌ حيال ذلك، شمسُ النهارِ اضمحلت خلف السحاب والليل شارفَ على القدومِ.

نهضتُ مُتململة، أوقدتُ المدفئة، سمعتُ صوتَ سقوط شيء ما قد اِصطدمَ بسقيفةِ المنزل ومن ثم هوى أرضًا.

التفتُ مفزوعة، وهرولتُ نحو الزجاج، لم أرَ بوضوحٍ بفعلِ المطر و الظلمة:

- يا ترى ما كانَ ذلك الصوت؟

سحبتُ الستائرَ، وارتديتُ المعطف، وأخذتُ المصباح من درجِ الخزانة، فتحتُ مقبضَ المظلّة، مددت رأسيَ من البابِ ثُمّ خرجتُ أتفقد الوضع، مشيتُ ببطءٍ شديد، عندها رأيتُ جسمًا صغيرًا ملقىً على الأرضِ،

وجهتُ الضوء نحوه، وإذا بها بومة صغيرة مبللة، قلتُ في نفسي:
- يا إلهي! هذاَ ما كانَ ينقصني، "بومة"، وفي هذاَ الوقت، أيّ نذيرِ شؤم سيأتي معها؟
تركتها حيث هي وعدتُ للداخلِ، لكنْ ثمّة ما عادَ بي إليها ثانية، قلبتها يمينًا ويسارًا، كانتْ لا تزال حيَّة، حملتها بيد ونفضتُ ريشها من الماء بالأخرى. وضعتها بالقربِ من المدفأةِ.
جلستُ بعيدًا عنها أُطالعها بحذرٍ متسائلةً بخوفٍ عما سيحدثُ بسببها:
- ما الذي أتى بها إلى هنا! ألا تعيشُ في الأماكنِ المهجورة والمخيفة؟
تذكرتُ حديثَ أمّي بشأن الاعتقاد المتوارث عنها، فما هي إلّا تحول روح الإنسان بعدَ دفنه بالقبرِ، لذا كانتْ أمّي تردد دائمًا، أنّها فالٌ سيء وتجلبُ النحس، ازدّدتُ ذعرًا.

ثمّ رأيتُها تحركُ جَناحيها بعجزٍ بينَ الفينة والأخرى:

- إنها على قيدِ الحياة!

أدارتْ رأسها، وأطلقتْ نهاماً ركيكًا ضعيفاً لا يكادُ يسمع مقارنة بصوت أصيص الأبواب.

- يا ترى ماذا تحاول أن تفعل؟ أ تُنادي رفيقاتها من البوماتِ أمْ أنَّها تُحضر لكارثةٍ ما؟

بقيتُ أترصد محيطيَ، متأهبة للنذيرِ، إلى أن عزمتَ على التخلصِ منها، دنوت قليلًا كي أحملها، ضعفتُ أمام عينيها الكبيرتين المستنجدة بي، تطالبُ بالأمانِ، أْستغفرتُ الله:

- يا جمالكِ، أنتِ لستِ سوى حيوانٍ لطيف، لا أعلمُ لِمَ يخافكِ الناس هكذا.

أحضرتُ المنشفة، وأَزِلتُ عنها أوراق الشجر المتفسخ، عالجتُ جراحها، ولففْتُ الضمادةَ على عظمةِ جناحها المكسورة، أطعمتُها بعضًا من قطعِ لحم السمك.

لم تمضِ سوى دقائق معدودة، حتّى استقامتْ على ساقيها، وكأنَّها استعادة صحتها ونشاطها، تنهدتُ:

- حمداً لله، أصبحتُ بخير.

سخرتُ من نفسي ضاحكة:

- يا لي من ساذجة، كيفَ كنتُ أصدقَ تلك الخرافات بشأنكِ؟

اقتربتُ منها وضممتُها بينَ راحة يَدي، وقلتُ لها:

- أنا آسفة، مرحبًا بكِ في منزلي.

# حبوب السعادة

صوت سيارة، الشرطة تَدقُّ الأبواب، وأنا ها هنا حاملًا سلاح المسدس مرتجفًا بكلتا يداي، أعصاب مشدودة، فكر مخدر، وعرق يتصبب من الجبينِ، وقوة تنتفض لثورتها، كانتا قبالتي أمّا وابنتها خائفتان، تصرخان بي، راجيتان تركهما وشأنهما على قَيدِ الحياةِ، بعد أنْ سلبنا منهما كلَّ ممتلكات المنزل، شعورٌ لعينٌ يلتهب لقتلهما وقلب يصارع عقلي لأجل نظرتيهما.

فجأة! شدَّ صديقي على ساعدي قائلًا:

- هيّا، ما بكَ اقتلهما؟

- هاا!، لحظ....ـة؟

- هيّا أيّها الأحمق، ألا تسمع صوتَ رجال الشرطة؟ اقتلهما والحق بي.

كدتُ أتحرك لكن قدماي ارتبطت بالأرضِ، أَغمضتُ عيناي بقوةٍ، تخيلت أنَّهما ليسَ سوى حمامتين

صغيرتين، وضعت إصبع سبابتي على الزنادِ وإذ بي أسمع أحدهم يجهر:

- ارمي ما بيدكَ أرضًا، وارفع يدكَ.

جثوت على ركبتي، وضعت يدي خلفَ رأسي معلنًا أنَّني لستُ فاشلًا بل مجرمًا.

قبل لحظات...

كانتْ كلماتُ أبّي النابية والساخطة تتردد بقوةٍ داخل عقليَ حين غادرت المنزل مذّ لحظة، خيل لي أنَّها سقطتْ أمام الباب حينَ أوصدته خلفي بقوةٍ إلا أنَّها هنا تتصارخ فوق رأسي بلا توقف، مسببة صداعًا مبرحًا.

"أنتَ فاشل"، " لستَ مسؤول"، "لستَ ابنًا بارًا" عبارات لا طائل منها وليس لي ذنب في أيٍّ منها، كنت أتساءل دومًا عن معنى فاشل وليسَ لماذا أنا فاشل، وأبحر فيها مع قارب نجاتي الصغير، لم أرتضِيَ لِمعناها المحدود، ولا لصدى حرفها الفاء، ولا لِلامِها المذلول.

عاطلًا بعدَ أنْ تحطمتْ أحلامي، وتبخرتْ كتبخرِ الماء في الهواءِ؛ فبلادي لم تعُدْ واحةَ الأمنيات، ولا مقصدَ الآملين، ولا مصنعَ العلماء.

ألا يدركان أبّي وأمّي هما من تطبعتْ نفسي بهما! فكرتُ مرارًا وتكرارًا مَن الّذي عليه أنْ يبرأَ من مَن؟ وهل المسؤول بارًا أمْ أن المسؤول قناعٌ يؤول عن الفعولِ.

تنهدتُ، ومسحت دموعي الباردة على وجنتي، وحينها جلسَ أحدهم بجانبي قائلًا بصوتٍ عالي مستهترًا.

- ما بالكَ أيُّها الطفل الصغير؟ تركتَكَ أمّكَ وحدكَ هنا!

تجاهلته إلا أنَّه حرِصَ على مجالستي وسماع همومي، هذا ما كنت أَفتقره، شخصٌ ينصت لي لدقيقةٍ واحدة، قالَ لي بعدَ أن بحثُ له ما في خلدي:

- الآباء لا يعترفون بما يَفعله الأبناء، ولا يقدرون ما نقوم به لأجلهم، فلا بأس جميعًا قد سمعنا تلك الجمل.

- كيفَ تكون هكذا! ألا تشعر بالضيقِ؟

أجابني بعدَ أنْ أطلقَ ضحكة غريبة:

- لا أشعر بالضيقِ أيُّها الأبله، فأنا دائمٌ سعيد.
- كيفَ ذلك؟!
- السِرُّ يكمن هنا يا رجل.
قالها بعدَ أن أخرج من جيبِ بنطاله علبة صغيرة قلتُ له:
- ما هذا؟
- السعادة.
- هل أنتَ تمزح؟
- أنا لا أمزح، لماذا لا تتناول واحدة؟ أقسم لكَ أنكَ ستنسى كلَّ ما حصلَ معكَ اليومِ.
ترددتُ وأنا أنظر لها؛ فالخوف يتربص بي من جهة ورغبة أخذها والإحساس بالسعادةِ الغائبة من جهة أخرى، تلك السعادة وددتُ أن أراها وأستشعر بوجودِها في حياتي كهالةٍ تضيء أيامي. التقطْتها منه، تناولت جرعة واحدة منها بسرعةٍ.

لثانية نشوة السعادة تفرقع في سمائي ألوانًا وردية، صانعة فضاءً زمرديًا، يموج كالبحرِ الهائج، حلقتُ بلا أجنحة كريشةِ إوزة بيضاء، تناظر العالم أمامي إلى نسختين غريبتين، أناس تتمايل مكانها، وأرض تسير بنا على نحو حلزوني، مدَّ لي يده قائلًا:

- أمسك بيدي.

- إلى أين؟

- نمضي نحو عالمٍ كرستالِ.

المحتويات

جَنَّة أُخرى.....١
سندريلا الصغيرة.....١٠
الأمنيات.....١٧
الوصم.....٢٢
ماسات ثلجية.....٢٦
رسالة.....٢٨
نِهاية حلم.....٣٥
الاستلاب.....٤٠
كورونا.....٤٥
اللغز القديم.....٥٢
خلفَ الجدار.....٥٨
أنا و الخرافة.....٦١
حبوب السعادة.....٦٥

تمت